

كيف تخشع في صلاتك؟

ذلك: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعنه مقاماً محموداً الذي وعدته» [رواه البخاري] واعلم - أخي الكريم - أن أداء النوافل والرواتب تزيد من خشوع المؤمن في الصلاة لأنها السبب الثاني الموجب لمحبة الله. كما قال جل وعلا في الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» [رواه البخاري].

4) فقه الصلاة: وإنما جعل فقه الصلاة من أسباب الخشوع، لأن الجهل بأحكامها ينافي أداءها كما صلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولأن خشوع المسيء صلاته، لا يفيد شئاً في إحسانها ولا يكون له كبير ثمره حتى يقيم صلاته كما أمر الله.

ولقد صلى رجل أمام رسول الله عليه وسلم فأساء صلاته، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «ارجع فصل فإنك لم تصل» [رواه البخاري ومسلم وأبو داود].

فجيب عليك - أخي الكريم - أن تعلم أن الصلاة واجباً، وسن الصلاة ومبطلاتها، حتى تعبد الله بكل حركة أو دعاء تقوم به في الصلاة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صلوا كما رأيتموني أصلي».

5) اتخاذ الستر: وذلك حتى لا يشغلك شأغل ولا يمر بديك مار سواء من الإنس أو الجن، فيقطع عليك صلاتك ويكسر سبباً في حرمانك من الخشوع.

عن سهل بن حمزة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا صلى أحدكم إلى ستره ولبس من منها لا يقطع الشيطان عليه صلاته» [رواه النسائي وأبو داود].

واعلم أخي الكريم أن اتخاذ الستر في الصلاة قد تهاون فيه كثير من الناس، وذلك لجهلهم بما يوقعه من السكينة والهدوء في قلب المصلي ولجهلهم بحكمه في الصلاة.

6) تكبير الإحرام: أخي الكريم - أما وقد عرفت ربك والتزمت بأمره واتبعته سبيله، فليتبذره وتركت ما سوى ذلك من حطام الدنيا وراء ظهرك، وأقبلت على ملاك أحسن إقبال يصقك وصفاً وإخلاصاً - - أما وقد حصل ذلك الاستعداد كله - فاعلم أن تكبيرة الإحرام هي أول شجرة تقطف منها ثمرة الخشوع والذل والانكسار، تقطفها وتتذوق حلاوتها حينما تتصور قوفك بين يدي الله، وحينما تفرق تفكيرك في معاني «التكبير» فتتصور قدر عظمة الله في هذا الكون، وتنامل - وانت تكبر - في قول الله جل وعلا ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [البقرة: 255]

ثم تتأمل قول ابن عباس رضي الله عنه أن الكرسي موضع القدم، فحينئذ تدرك حقيقة الله أكبر، - تتركها وهي تلامس قلبك الغافل عن الله فتوقظه، وتذكره بهزل الموقف وعظم الأمانة التي تحملها الإنسان ولم يؤدبها عرضت عليها - تدرك أخي الكريم - حقيقة التكبير وأسارته وتنتظر إلى حالك مع الله وما فرطت في جنبه سبحانه ثم تتيقن أنه سبحانه قد نصب وجهه لوجهك في لحظة التكبير لتقييم الصلاة له راجياً رحمته وخائفاً من عذابه، إنه لموقف ترتعش له



عابر سبيل».

وكان عبد الله بن عمر يقول: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء. إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمركك ومن حياتك لموتك» [رواه البخاري].

3) الاستعداد للصلاة: واعلم - أخي الكريم - أن استعدادك للصلاة هو علامة حبك لله جل وعلا، وأن حرصك على أدائها في وقتها وفي وقتها مع الجماعة، هو علامة على حب الله لك، فقال تعالى في الحديث القدسي: «وما تقرب إلي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه» [رواه البخاري].

ولذلك فإقامة الصلاة على الوجه المطلوب هو أول سبب يوجب محبة الله ورضوانه، وإنما يكون استعدادك - أخي الكريم - بالتفرغ للصلاة تفرغاً كاملاً، بحيث لا يكون في بالك شأغل يشغلك عنها، وبها لا يتحقق إلا إذا عرفت حقيقة الدنيا، وعلمت أنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وأنت فيها غريب عابر سبيل سوف ترحل عنها في الغد القريب. قال صلى الله عليه وسلم: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».

وهذا مسلم بن يسار تسقط أسطوانة في ناحية المسجد ويجتمع الناس لذلك، وهو قائم يصلي ولم يشعر بذلك كله حتى انصرف من الصلاة.

2) تعظيم قدر الصلاة: وإنما يحصل تعظيم قدرها، إذا عظم المسلم قدر ربه وجلال وجهه وعظيم سلطانه واستحضر في قلبه وفكره إقبال الله عليه وهو في الصلاة، فعلم بذلك أنه واقف بين يدي الله وأن وجه الله منصوب لوجهه، وبإله من مشهده رهيبي، حق للجوارح فيه أن تخشع وللقلب فيه أن يخضع، رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا صليت فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في الصلاة ما لم يلتفت» [رواه مسلم].

وكان السلف رضي الله عنهم يتغير حالهم إذا أوشكوا على الدخول في الصلاة، فقد كان علي بن الحسين إذا توضأ صفر لونه فيقول له أهله: «ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أقوام؟ [رواه الترمذي وأحمد].

ولما كان الخشوع صفه يمتدح الله بها عبادة المؤمنين، دل على فضله ومكانته عبد الله، ودل على حب الله للأهل الخشوع والخشوع، لأن الله سبحانه لا يصح أحداً بشيء إلا وهو يحبه ويجب من يعبد به، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله - وذكر منهم - ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» [متفق عليه].

وجه الدلالة من الحديث: أن الخاشع في صلاته يغلب على حاله البكاء في الخلوة أكثر من غيره، فكان بذلك ممن يظلهم الله في ظله يوم القيامة.

أهم أسباب الخشوع

أخي الكريم - أعلن حفظك إلا ثمرة لصلاح القلب واستقامة الجوارح ولا يحصل ذلك إلا بمعرفة الله جل وعلا، والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ومعرفة أمره والعمل به، ومعرفة نبيه واجتنابه

الخشوع والسكون. قال: ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه: 108] أي سكتت. والخشوع هو: قبان القلب بين يدي الرب بالخشوع والذل. قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «أصل الخشوع لين القلب ورفقه وسكونه وخضوعه وانكساره وحرقته، فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء، لأنها تابعة له» [الخشوع لابن رجب، ص 17] فالخشوع محل القلب ولسانه المعبر هو الجوارح. فمتى اجتمع في قلبك أخي في الله - صدق محبتك لله وأنسك به واستشعر قريب منه، ويقينك في الوهيته وربوبيته، وحاجتك وفقرك إليه، متى اجتمع في قلبك ذلك ورتك الله الخشوع وأذائق لذته ونعيمه تثبتت لك على الهدي، قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [محمد: 17] وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: 69].

فاعلم أخي الكريم - أن الخشوع في الصلاة، هو توفيق من الله جل وعلا، يوفق إليه الصادقين في عبادته، المخلصين والمختارين له، العاملين بأمره والمنتهين بنهيه. فمن لم يخشع قلبه بالخشوع لأوامر الله خارج الصلاة، لا يتذوق لذة الخشوع ولا تترف عيناه الدموع لقسوة قلبه ويعبره عن الله. قال تعالى: ﴿ نِ الصَّلَاةِ تَنْتَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [التكوير: 45]. فالذي لن تنته صلاته عن المنكر سبيلاً، ومن كان حاله كذلك، فإنه وإن صلى لا يقيم الصلاة كما أمر الله جل وعلا، قال تعالى: ﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا كَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة: 45].

واعلم أخي المسلم بأن الخشوع واجب على كل مصل. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ويدل على وجوب الخشوع قول الله جل وعلا: ﴿ قَالَ تَعَالَى ﴾ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: 42].

لو لم يكن للخشوع في الصلاة إلا فضل الانكسار بين يدي الله، وإظهار الذل والمسكنة له، لكفى بذلك فضلاً، وذلك لأن الله جل جلاله إنما خلقنا للعبادة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56] وأفضل العبادات ما كان فيها الانكسار والذل الذي هو سرها ولبها. ولا يتحقق ذلك إلا بالخشوع، وذلك فقد امتدح الله جل وعلا الخاشعين في آيات كثيرة: قال تعالى: ﴿ وَيُخَرِّوْنَ لِلذَّقَانِ يَتُكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: 109].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة: 45].

وجعل سبحانه وتعالى الخشوع من صفه أهل الفلاح من المؤمنين فقال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: 2-1].

وقال ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: 90].

